

## "اقرأ بالفرنسية والموسيقى"

ندوة شارك فيها تويني، مايلا، كوثراني وخليفة

### ميشال شيحا واحياء ذكرى "من يحيا في الدستور"



خليفة.



كوثراني.



مايلا.



تويني.

الشباب مثال الفيلسوف وأن أفكاره كانت تعكس أفكارهم، كما أنه من أولئك الذين بشروا بالاستقلال، مذكرا بالصحافيين الذين استشهدوا خلال الحكم العثماني.

ولفت تويني إلى أن الدستور ليس بالضرورة النص المكتوب. ولاحظ أن الذين أُنذروا بخطر إسرائيل كانوا مسيحيين لا مسلمين.

#### كوثراني

وتناول الدكتور وجيه كوثراني تاريخية أفكار شيحا وتطلعه إلى "بعث حياة سياسية ما بين الطوائف عبر مجلس النواب. لكنه اكتشف أن هذا المجلس لا يؤدي مهماته فتحدث عن ضرورة ارتقاءه بمساعدة الحكومة. وقع تاريخيا في حلقة مفرغة. (على البرلمانين أن يكونوا فعلا سلطة تشريعية). هذه مفارقة لبنانية حاول حلها بمجموعة مقالات أواسط الأربعينات، وشبه الحالة اللبنانية بالحالة السويسرية لكنه تنبه إلى الفرق وهو أن ثمة مواطنا في سويسرا، وراهن على الزمن الذي يفعل في الانسان في التربية والتثقيف (...). تشير كتاباته عن المواطن إلى أن لا مواطن في لبنان بل تابع، ولا منتخب بل قطع. عثر باكرا جدا على ما يسمى الزبائنية والمحسوبية والتبعية. المجتمع السياسي اللبناني رعوي. وهذه الازمة تلمس شيحا بداياتها وكتب ان لا مستقبل سياسيا في لبنان اذا بقي المواطن كذلك. ثمة نوع من الاستشراف التاريخي لما سيحصل".

وتابع ان "شيحا يعطي الماضي الاسطوري هالة ايدولوجية. برأبي مؤرخا، الماضي هو ماض خلافي. ليس نابوليون من وحد الفرنسيين، بل توحدوا على مستوى الحقوق والواجبات. لذا ما زال ثمة خلاف على كتابة التاريخ".

وفي مداخلة مقتضية لتويني انه كلما تعزز الدين تراجع الطائفية و"نحن جميعا ابناء الله، لذا اعترض على من يسمون انفسهم حزب الله، فهل نحن حزب الشيطان؟". (ضاحكا ورد الحضور بالمثل).

#### خليفة

واعترف الدكتور نبيل خليفة ان ما يبقي فكر ميشال شيحا في شبه كماله وراهنيته انه فكر رجل حمل هم متطلبات العصر في قضايا الكبرى بابعادها الجيو - سياسية وأمن بقوة الكلمة وسلطان الثقافة وجمع في اديه السياسي، اصالة الفكر الاغريقي ووضوح وشاعرية الفكر اللاتيني وراهنية الفكر الانغلو-سكسوني. وعدد خمس نقاط اساسية لفتته لدى شيحا:

- لبنان شيحا هو الجبل والبحر والحضور في العالم والارض الضامنة لحرية الطوائف ومذاهبها. - تخطى بقدرته الاستشرافية ما يعتبر اليوم لغية القرن الحادي والعشرين اي "دواء" حوار الحضارات والاديان، وتحديدنا الحوار المسيحي - الاسلامي. - كان يؤمن ويعمل في ضوء ان السياسة والاقتصاد وجهان لعملة واحدة، وهو تولى منذ نصف قرن مهمة المرافعة عن الليبرالية الاقتصادية كخيار حياة ومجتمع للبنان والعالم كونها الوجه الآخر لليبرالية السياسية حتى ليصح القول انه رجل البيان الليبرالي في الشرق بامتياز.

- فلسطين ميشال شيحا وهي فلسطين القلق والاحترار والمقاومة في وجه "مشروع جهنمي لاستعمار الشرق الأدنى برعاية اميركا" وليس امام العرب سوى خيار وحيد: المقاومة باعتبارها مسألة حياة أو موت. ولكن العرب يعانون من التردد والضياع والانقسام، ولا يسمعون او لا يريدون ان يسمعوا لانهم "مصابون بثلاثة: تخلف العقل وغياب الرأي وافلاس العدالة". - على الرغم من شاعريته فان أسلوبه الادبي يندرج ضمن مدرسة الواقعية التاريخية والتي تعني وعيه العميق للواقع المجتمعي (...). وخلص إلى ان شيحا "كتب الينا جميعا الكثير من النصائح والرسائل وبقي علينا ان نرد له الجميل ولو برسالة واحدة: لقد صدقت واصبت. وشعبنا مدين لك اكثر من اي انسان آخر قرنا كاملا نصفه مضى ونصفه مقبل. حسبه انه حمل هموم عصره وقاربها برؤية نبوية فتخطى عصره! لم يكن مقصرا في شي... فقط كان عمره قصيرا، لكن الرجل الكبير لا ينتهي بماتم".

حنان عاد

استذكار ميشال شيحا اليوم بالذات يأتي مثقلا بالف مغزى وانذار وصدمة وعي جيدا لو تحدث فعلا. الذكرى الخمسون لرحيله احضرت صوته مدويا، ومستشرفا، منبها، غاضبا، مومنا إلى الجروح التي طالما وضع الاصبع عليها، والمفارقة انما ما زالت إلى اللحظة على نزفها واكثر. كان فكر هذا الرجل لم يجف حبره بعد.

كتاباته مدهشة في معانقة الواقع السياسي الراهن، برغم الزمن المديد الذي مضى عليها. ماذا عساه يفعل او يكتب لو شهد راهنا ما حصل من تعديل دستوري؟

وما تلاه من تشكيل حكومة قبل فيها انه "لم يكن في الامكان اكثر مما كان"، وبدا مع تشكيلها وكان هذا البلد ما عاد قادرا على انتاج كفاءات بشرية جديدة بدلا من وجوه لا تنفك السياسة ومواقع السلطة تجترها منذ اعوام كثيرة؟ ويتحدث غسان تويني في مقدمته لكتاب "في السياسة الداخلية" لميشال شيحا كيف ان ضمير ميشال شيحا اخرجته اقدام الرئيس الشيخ بشارة الخوري على طلب تعديل الدستور لتجديد ولايته، وبادر إلى معارضة التجديد في مقال بغاية الصراحة التي لم تخل من العنف، خوفا من المجازفة بالدستور وبالاستقلال في آن واحد.

مساء امس اكتظت قاعة كاتزار في معرض الكتاب الفرنسي في بيال، بحشد من الحضور اصغى بحماسة مغلقة بالمرارة، إلى وقائع الندوة التي دعت اليها مؤسسة ميشال شيحا في الذكرى الخمسين لغيابه وتكلم فيها غسان تويني وجوزف مايلا ووجيه كوثراني ونبيل خليفة. وكتم اثبتت تلك الندوة رؤيوية ميشال شيحا وسداد فكره وعمق "توزطه" مفكرا وصحافيا وقانونيا وشاعرا في حب هذه الارض وغيرته عليها.

"ثمة نظام متوقف" قالها بمزيج من الفكاهة والسخرية رئيس تحرير "النهار" غسان تويني حين لفتته احدى الحاضرات إلى ان الميكروفون لا يوصل صوته كما يجب. استهل الكلام عن شيحا ووقفا كان ليليق الاستمالة بوزن الرجل موضوع الذكرى، مشيرا إلى انه نائب رئيس مؤسسة ميشال شيحا في وقت ليث منصب الرئيس شاغرا بوفاة الرئيس شارل حلو. ومما قال تويني ان شيحا ابو الدستور اللبناني وفكر في الدستور قبل الميثاق الوطني وحافظ عليه بروحه وعقله قبل المحافظة عليه في نصوصه، وذكر بمقالة كان شيحا توجه بها إلى السوريين. واذ قدم البروفسور جوزف مايلا رئيسا للمعهد الكاثوليكي - باريس، أشار مازحا: "أما انا فعلماني".

#### مايلا

وقال مايلا ان الذكرى تكون عادة لاموات حين "اننا نحيا اليوم ذكرى حي لأن ما كتبه حي ويبقى حيا في روح الدستور. المؤسسات كانت له قبل كل شيء روحا لادارة حياة الناس (...). حين نتكلم عنه، نتكلم أولا عن مثقف ملتزم وصاحب فكر مناضل ومفكر التعددية وهذا ما كان يحركه لناحية احترام التسامح. آمن بالتقليد كثمرة للحكمة والصبر والتجربة، ورفض التجديد الذي يقتل". وتوقف عند اتسامه العميق بفكرة الحق والقانون والتوازن بين القوى، وأشار إلى ان تجربة الطائف قلبت اشكالية هذه المقاربة لناحية روح المؤسسات. لماذا نحتاج ميشال شيحا اليوم؟ سأل مايلا ورد: "لثلاثة اسباب. 1 - لانه كان مثقفا وأمن بدور للفكر وبمسافة نقدية بتنا نفتقدتها اليوم لأسباب عدة. 2 - في فكره هدف ضابط للفعل واذو قدرة تحذيرية ومنبهة ومنذرة. ومنذ العامين 1946 و1948 كتب عن خطر محدد بالعيش المشترك. 3 - كان واعيا ايضا للأزمات الاقليمية، وكان حذر اللبنانيين من شغف التبعية (...). ان نفهم ميشال شيحا يعني ان نفهم سير دستور بتناغم ومبادئ سير مؤسساتنا". وختم بأن رهان شيحا كان أن لبنان وطن ممكن واستعادته استعادة الحلول للغد وقبول الدستور، مستشهدا بقول شيحا انه لا يجوز بناء مؤسسات حديثة بمنطق الزبائنية والتبعية واننا لا نحتاج رجلا عبيدا بل رجلا أحرارا".

ثم علق تويني ان الفكرة اللبنانية المجسدة لدى شيحا هي رمز الدستور المتجذر في كتاباته. وقال ان شيحا كان يمثل له ولرفاقه الصحافيين